



سامي بحيري*
samybehiri@aol.com



● مع أخيه والرئيس اليمني الأسبق علي ناصر محمد

تحرير الشعوب لا بد وأن يمر بتحرير المرأة

ترغب في أن تعود المرأة إلى البيت كخادمة ومربية ووعاء للشهوة. وما زالت بعض البلدان لا تسمح بسفر النساء بدون «مُحرم» حتى لو كان ولداها الصغير، وفي هذا أبلغ الإهانة للمرأة، فقديمًا كان السفر من مكة إلى المدينة على ظهر الجمال يأخذ أيامًا، وكانت القوافل تتعرض للنهب والاعتصاب والقتل من قطاع الطريق، لذلك كان من الطبيعي أن يرافق المرأة رجل من محارمها، حماية لها من أشرار الطريق المرقق والطويل، أما اليوم فتسافر المرأة من بلاد العرب إلى بلاد الإنجليز على متن طائرة بها ما لا يقل عن مائتي مسافر، ثم تهبط في مطار به آلاف من المسافرين ورجال الشرطة، فمخاف عليها؟ هل من الممكن أن يغتصبها شخص على متن الطائرة؟ أم على أرضية المطار!!!

وما زالت المرأة ممنوعة من قيادة السيارة بالسعودية، وفي نفس الوقت يسمح للسائق «غير المحرم» بأن يقودها إلى الأسواق وخلافه، بدون خشية «أن يكون الشيطان ثالثهما». كما أن كثيرا من البلاد العربية لا تسمح بسفر الزوجة بدون موافقة خطية من زوجها، وكأنها جارية قد اشتراها من أبيها.

حتى مهر المرأة ما هو إلا رمز للجاهلية والعبودية والجوارح. وكلما بولغ في المهر فإن هذا يؤكد أن المرأة جارية تباع وتشتري، حتى أنها إذا أرادت أن تلحق من زوجها فلا بد عليها أن تشتري حريتها برد المهر والهدايا لزوجها مرة أخرى.

وما زلت نرى التفرقة البغيضة بين تربية الولد وتربية البنت، فالولد مصرح له بأن يفعل ما يشاء، ولو عرف والده أن له علاقات نسائية حتى لو كانت علاقات مع بائعات الهوى، فإنه ينتسم موبخًا، ما يصحش كده يا ولد، أنتظر حتى الزواج «، بينما يقول لأصحابه في المقهى بفخر: «الولد طالع عفريت وخلصوص زي أبوه، دابر على حل شعره». أما إذا عرف أن ابنته قد تعرفت إلى شاب في الدراسة، فإنها سوف تتعرض لأقصى العقوبات الجسدية والنفسية، ابتداءً بتهديتها بحرمانتها من استكمال تعليمها، وانتهاءً بالقتل، كما يحدث في بعض الأماكن البدوية والقرى النائية، ولما لا فالبرلمان الأردني مرر قانونًا يخفف العقوبة على قتل ما أسماه «بقتل الشرف». وكان للبنت شرف، ولا شرف للولد.

وسواء أردنا أو لم نرد فالمرأة أكثر من نصف المجتمع، وهذا ليس كلامًا سياسيًا وإنما إحصائيات، ففي معظم دول العالم يبلغ تعداد النساء حوالي 51% من السكان، فتجاهل نصف المجتمع أو معاملته بمعايير مزدوجة لا يجلب إلا الفشل لتلك المجتمعات.

المرأة هي أمك وأختك وابنتك وزوجتك وحبيبك، والمرأة هي الحياة لأنها تحمل في داخلها كل حياة لطفل وليد، وهي العذوبة والبرقة والحب والشاعرية، معظم الشعر الذي كتب عبر التاريخ كتب في المرأة.

وبدون الحرية الكاملة للمرأة فلا يوجد هناك أمل حقيقي للتقدم أو القضاء على الفقر والجهل والمرض والبطالة، فالمجتمع الذي لا يعطي الحرية الحقيقية للمرأة والمساواة الكاملة بالرجل، سيظل مجتمعًا أعرج يمشى على ساق واحدة.

نريد للمرأة حرية حقيقية بدون قيود، إلا قيود القانون مثلها مثل الرجل، نريد حرية تليفزيونية شكلية، يجب أن نحارب الأفكار الجاهلية التي ما زالت تبيح «وآد البنات» وأدًا نفسيًا وأحيانًا جسديًا.

المرأة الحرة سوف تعلم أولادها الحرية، والمرأة الجارية لا تستطيع، لأن فائد الشيء لا يعطيه، إن اعتبار المرأة عورة: اسمها عورة، صوتها عورة، جسدها عورة، لا يتأتى إلا من مجتمع الذكور المهوسين بالجنس، ومجتمع رجال لا يمارس الجنس إلا في خياله ولا يعرف من الحب إلا القليل، حتى بعد الزواج يمارس معظم رجال الهوس الجنسي الجنس بدون حب حقيقي.

وإذا أضفنا إلى موضوع العورة أنهم «ناقصات عقل ودين»، فإن القضاء على المرأة قد تم بحقن النصوص والتفسيرات العتيقة.

وأحمد الله أنني قد أنجبت البنات، وبأنني قد نجيت بهن في سفينة نوح في بلاد الفرنجة، حتى يبعدين عن مجتمع الذكور المهوسين جنسيا في بلادنا الجميلة!!

عندما كنا أولادًا صغارًا نلعب في حوار الأحياء الشعبية بالقاهرة، كان من أكبر الفضائح أن يعرف أحد الأولاد أسم أمي، لأنه كان من شأنه أن يحولني إلى أضحوكة بين أقراني، وبدلا من أن ينادوني بأسمى «سامي»، فسوف ينادوني «يا ابن فلانة!!»، وأذكر أن حظي العاثر قد مكن أحد الأولاد من معرفة أسم أمي عن طريق والدته، وبدأ حملة شريرة لابترازي فكان يقتسم معي ساندويتش المدرسة، وأحيانا كان يقتسم معي مصروف اليومي المتواضع، وظل على هذا الحال حوالي سنة كاملة، حتى استجاب الله لدعائي وتم نقل والده للعمل خارج القاهرة، وقد سافر مع أسرته ومعه السر المصون ألا وهو «أسم أمي»، وأنا حتى الآن لأجرؤ على ذكر أسم أمي (رحمها الله) في هذه المقالة خشية أن تغضب علي في الآخرة.

وبين عامي 1994 و 1995 كنت في معسكر جباليا بقطاع غزة أقوم ببناء مساكن للمواطنين الفلسطينيين، وكانت مموله من الحكومة الأمريكية، كباكورة للمشروعات التي كان من المفترض أن تستمر بعد اتفاقية أوسلو، وكان هناك كثير من التفاؤل في أوساط الفلسطينيين والإسرائيليين، وكان علينا الاستعانة بالعمال والمقاولين المحليين بغزة، وتعرفت بمقاول أسمه «أبو حمدي»، وجاءني «أبو حمدي» يوما يسألني: ما هو أسم أبوك؟، فقلت له: أسمه أحمد، فقال لي: من هنا ورايح سوف نناديك بابي «أحمد»، فقلت له: لماذا؟ فقال: أنا أعرف أنه ليس لديك أولاد، لذلك جرت العادة بين الفلسطينيين وأهل بلاد الشام أن ينادون الشخص الذي لم ينجب أولاد بكنية أبيه. فاعترضت قائلا: أنا أفضل أن تناديني بأسمى المجرى «سامي». فقال لي: ما يصحش» يا باشمهندس»، لا بد أن نناديك بابو أحمد، فقلت له: إن كان ولا بد أن تناديني بابو» حاجة» فأنا أفضل أن تناديني باسم ابنتي الكبرى «سارة»، فتغير وجه «أبو حمدي» فجأة وقال: يعني «يا باشمهندس» عاوزني أناديك «بابو سارة»؟ فقلت له: أيوه ولي الفخر كمان. رغم أنني لم أتخلص من عقدة أسم أمي بعد!!، فقال: يا باشمهندس ما يصحش أحنا عمرنا ما ننادي أحد باسم بنته، البنات دول حرمة. فقلت له: يا سيدي أنا موافق، أنت مالك، قل لي يابو سارة. فقال لي: أنت حر أنا ساناديك يابو سارة في وسط المشروع وفي وسط العمل. فقلت له: ولا يهملك. وطبعًا «أبو حمدي» ما كتبش خبر، وبدأ على الفور بمناداتي: «يابو سارة» في وسط موقع العمل، وما أن نادى علي بصوت عال «أبو سارة» حتى توقف العمل في الموقع وبدأ الكل ينظر باستنكار تجاه النادى والمنادى عليه، فشخط فيهم «أبو حمدي» قائلا: «كل واحد يرجع شغله، الباشمهندس ميسوط من لقب» أبو سارة»!!

وأنا أعرف أيضا أن في بعض بلاد الخليج عندما يريد الرجل أن يتكلم عن زوجته يبدأ الحديث قائلا: «الله يعزك الأولاد في البيت..... كذا.....كذا» تماما مثلما يتكلم عن حدائه قائلا: «الله يعزك أعطني المداس !!» وفي بلاد الشام عندما يتكلم الرجل عن زوجته يقول: «المرء» بدون ألف الهمة وفتح الميم والراء، أما في مصر فقد حدث تطور كبير فبعد أن كان يطلق على الزوجة لقب «الجماعة» أخذت لقب «المدام» بدون ذكر أسمها صراحة.

وخلال قراءتي للسيرة النبوية، فإني أقرأ كثيرا عن نساء العرب والصحابيات، فيقول: «فلانة بنت فلان وكانت تحت عبادة بن الصامت» أي أنها زوجته (يعني تحته بالمفهوم الجنسي)!!

وكل هذه المظاهر المثيرة للضحك والرائع، إنما هي مظاهر جاهلية وتعتبر بمثابة وأد نفسي للبنات، لأن الرجال العرب لا يطيعون أن يكون لبناتهم أو لزوجاتهم وجود خارج البيت. وقد كنت مرة أصلي الجمعة في أحد مساجد الوهابيين، وكانت خطبة الجمعة كلها مركزة على أن: المرأة لا تخرج من باب البيت إلا مرتان: مرة من بيت أبوها إلى بيت زوجها والأخرى من بيت زوجها إلى القبر!! ومرة قال لي أحد المتمسحين بالدين: «أنا المرأة ما هي إلا وعاء يفرغ الرجل فيه شهوته»!! وطبعًا قد تفرزت من التعبير، وكنت أعرف أسرته، فاجبته قائلا: «أيه أريك لو أنقل الرأي ده للسيدة والدتك وللأنسة أختك؟» فصمت ولم ينبس بشقة.

ورغم حدوث تطور كبير في النصف الثاني من القرن العشرين في النظرة إلى المرأة العربية، إلا أن جحافل الجاهلية ما زالت

الدراسة، وكانت حبي الأول والأخير، بل وحياتي كلها بعد أن عرفت أنها رسالة وليست ارتزاق. وتوضيحا للفرائز العزيز، فقد كانت العادة عند الفنانين الذين سبقونا في مجال الأغنية أن تكون لكل فنان فرقة موسيقية خاصة به من عازفين موسيقيين على مختلف الآلات الموسيقية والكورس.

بعد موافقة والدي رحمة الله عليه انضمت إلى فرقة فناننا محمد مرشد ناجي (كورس) مع بقية زملائي من أفراد الكورس استمررت في فرقة فناننا المرشدي أنا وزميلي فضل حسن المجلي وزميلي محمود ياسين وأخوه الأصغر، وكانت الروح الفنية موجودة عند الجميع حتى عندما كنت أغنية من أبحان فناننا المرشدي مثل أغنية (هجرت وأبعدتني) سيستمع المستمع الكريم صوت المرشدي والعزاني يرددون معي بدور الكورس وعندما كان المرحوم محمد صالح عزاني يغني أغنية من أبحان المرشدي كنت أنا والمرشد نردد معه بدور الكورس وهكذا كانت الروح الفنية عالية في سبيل تطور الأغنية اليمنية الحديثة. ليس هناك كبير أو صغير أبدا، وكله يهون في سبيل أن تقدم الأغنية بشكل ممتاز من جميع عناصرها في الكلمة واللحن والأداء والكورس والموسيقى والتسجيل.

وكت القاسم المشترك منذ الستينيات في حفلات فناننا الكبير المرشدي وفي جميع المناسبات الوطنية والشعبية والخيرية، حتى جلسات (القات) الخاصة، وكذا في النوادي الرياضية، وهكذا كانت العادة بالنسبة لكل فنان ناشئ، كان عليه أن يلازم فنان كبير حتى يكون له حضور فني والباقي على الله، وموهبه وطموح الفنان الناشئ إذا كان موهبة حقيقية سيستم وان غير ذلك فمسيره الفشل الذريع، وهذا ليس في بلادنا فقط، بل في العالم كله والشواهد كثيرة.

وعندما كنت القاسم المشترك لفناننا الكبير المرشدي فيما ذكرته سلفا تعرفت على الكثير من الشخصيات الاجتماعية والسياسية والرياضية والتجارية والدبلوماسية... الخ.

واستعدت الكثير والكثير وتعلمت منه الكثير والكثير من الدروس والعبر، أستطيع أن أقول عنه انه موسوعة وموهبة وذكي جدا، ويملك عدة مواهب وله العديد من المواقف الإنسانية المشرفة وإذا أراد أن يمتلك شيئا لنفسه يحققه وهذا سر نجاحه في الحياة. أول أغنية غنيتها له هي (مُرحب يا رمضان) كلمات الشيخ عبد الله محمد حاتم ومن أبحانه كما غنيت من أبحانه أيضا أغنية (هجرت وأبعدتني) كلمات الأستاذ محمد سعيد جراد، وعندما قام بتوزيع أبحان خليل محمد خليل اختار لي لحن (يا اهل الهوى) كلمات الدكتور محمد عبد غانم، كما غنيت من كلمات مهدي حمدون وأبحانه، أي المرشدي، أغنية (غلطة عمر) وكذلك أغنية (يخاصمني ويضحك لي) كلمات المرحوم مصطفى غانم نعمان وأبحان المرشدي وبعد الخلاف الذي حصل بيننا سحب لحن (يخاصمني ويضحك لي) وأهداه للفنان عبد الرحمن الحداد وغير كلمات الأغنية بكلمات أخرى بعنوان (حبيب القلب) كلمات الأستاذ عبد الله هادي سبيت.

هذه حصيلة ما غنيت من أبحان فناننا الكبير المرشدي خلال عشرين عاما ويزيد وهذه الفترة هي الفترة التي ارتبطنا بها ارتباطا وثيقا، حتى أن البعض من الفنانين كان يرضن أن المرشدي يقول لي لا تغني من أبحان غيري، ولكن العكس صحيح كان يقدمني في بعض حفلاته الموسيقية التي كان يحبها وكنت القاسم المشترك فيها، كما ذكرت سلفا، اشتركت معه من أبحان غيره ولم يعترض هو على ذلك أبدا، فغنيت من أبحان فيصل عبر العزير حمود وكذا من أبحان الفنان القدير خليل محمد خليل وكذا الفنان محمد بن محمد باسويد رحمه الله، كما لحن لي أيضا الفنان الكبير محمد سعد عبد الله وكذا الفنان القدير يوسف احمد سالم وكذا الفنان عبد الرحمن باجنيد، كان ذلك قبل أن أقوم بالتحلني لنفسي، وجميع تلك الألبان مسجلة بصوتي في إذاعة عدن... البرنامج الثاني. ومن أبحان الفنان محمد بن محمد باسويد غنيت أغنية (يا ساجي العيون) واستطلعت أن أجد لنفسني مكانا بين زملائي الفنانين واشتهرت ببعض الألبان التي غنيتها من أبحان زملائي وشعرت في نفسي القدرة على التحلني لنفسي فقامت بوضع أول لحن لي وكان عبارة عن موسيقى صامتة فقط دون كلام وهذا ما يفعله أيضا بقية الفنانين في اليمن وفي البلاد العربية، ثم يذهبون إلى شاعر غنائي يضع لهم كلمات على وزن اللحن وهذا ما حصل لي مع الأستاذ محمد سعد عبد الله الذي ذهب إلي بصفته شاعر غنائي، بالإضافة إلى انه ملحن ومغني وطلبت منه أن يصوغ لي كلمات على وزن اللحن الذي وضعت موسيقاه فقط، وما كان منه إلا أن شجعتني بعد إعجابي باللحن وبدأ بوضع الكلمات حتى انتهى من كلمات الأغنية بعد أن غنيتها له في منزله أكثر من مرة، وخرجت إلى النور أغنية (ما شنفعك إلا أنا) وبعد أن سجلتها للإذاعة نجحت نجاحا منقطع النظير وكانت طلبات المستمعين لها من الإذاعة تكاد أن تكون يومية، الأمر الذي وسع من شهرتي وذكر اسمي بين الأوساط الشعبية والفنية، وإجازتي كملحن ومطرب في الإذاعة مما شجعتني أن أقوم بتلحين أغنياتي بنفسي لكثير من الشعراء اليمنيين، وكانت الانطلاقة الحقيقية لشهرتي كملحن ومطرب وارتفعت درجتي الفنية من الدرجة الأولى إلى الدرجة الممتازة بين كبار الفنانين في الإذاعة والتلفاز. وبعد نجاح أغنية (ما شنفعك إلا أنا) خرجت لي الانتقادات من بعض الأعلام المأجورة التي لا تريدنا أن أقوم بالتحلني لنفسي وتريدنا أن اغني من أبحان غيري، وأتذكر أن فناننا الكبير محمد سعد عبد الله قام بالرد عليها والدفاع عني بان استمر بالتحلني لنفسي، وبفعلنا استمررت الأمر الذي دفعني أيضا أن اكتب بعض أغنياتي بنفسي ابتداءً من أغنية (أنا أتحدك تتكلم صراحة) بعد إجازتها من كبار شعراء الأغنية أمثال الأستاذ لطفي جعفر أمان، رحمه الله، الذي كان رئيسا للجنة النصوص في الإذاعة والتلفاز واستمررت في كتابة وتلحين أغنياتي لنفسي حتى اليوم. ولم اهتم بما يكتبونه من انتقادات أعداء النجاح والحاقدين على نجاحي من الأعداء بتياب الأصدقاء منذ بدء حياتي الفنية، ولا داعي لذكر أسمائهم وهاء العشرة الطويلة التي كانت تربطني بهم أيام زمان.

أما أنا فيكفيتني حب وتشجيع الناس الطبيعيين في داخل الجمهورية اليمنية المباركة وخارجها.

وبعد أن لحنت لنفسي قمت أيضا بالتحلني لبعض زملائي من الفنانين والفنانات بطلب منهم، لحنت لكل من المنلوچست فؤاد الشريف، نجيب سعيد ثابت، أسمهان عبد العزيز، كما غنت لي أيضا الفنانة رجا با سودان على اسطوانة أغنية (أنا أتحدك تتكلم صراحة) وغنتها أيضا الفنانة أمل كعدل على شريط كاسيت، وغنت الفنانة نجيبه من منطقة تعز أغنية (أشاك تعود يا ابني) ونزل الشريط بعنوان الأغنية (الأب)، وبعد أن سمعني فنان العرب الفنان الاستثنائي محمد عبده غنى أغنية (يا منيتي يا سلا خاطري) بنفس الطريقة التي غنيتها بعد أن وضعت لها اللمسات الجمالية، كما غناها عبد المحسن المهني من الكويت الشقيقة، بعد أن عدل الملحن بعض الشيء في مقام الأغنية والتوزيع وغناها الفنان اللبناني وليد توفيق بعد أن اشتهرت بصوتي عندما سجلتها لإذاعة الكويت الشقيقة، بما يواكب العصر وليس بلحن القمندان الأصلي كما يدعي البعض وهذا ما يشرفني أن تقدم أغنياتها اليمنية بأصوات عربية مشهورة من الفنانين العرب والأجانب أمثال المطربة الروسية التي لا تسعني الناذرة باسمها والتي غنتها من قناة (ام بي سي)، وأنا بطبعي أعشق التراث اليمني وسأواصل جهودي بتقديم التراث اليمني من كل محافظات الجمهورية اليمنية المباركة إن شاء الله تعالى، إن كان لي في العمر بقية، وسأغني وليس مقلا ككبري كما فعلت في الأغنيتين السابقتين (وأمرؤد بوادي الدور) و (يا منيتي يا سلا خاطري)، وسوف اجعل من الجمهور اليمني الذي اغني له هو الحكم العادل وليس لفناني التللية والتعصب الأعمى والقبيلة التي كانت زمان الاستعمار وسياسة (فرق تسد) هذا شيخي وهذا عدني وهذا جبلي وذلك لحجي والي آخر الاسطوانة، والكل يعرفها، فالأغنية اليمنية ملك لليمن وأهل اليمن بل للعرب جميعهم، وتراث العرب للعرب جميعا فقط.